الفصل الثاني عشر

القيم الدّينية والأخلاقية المشتركة

بين المسلمين والمسيحيين

الفصل الثاني عشر

القيم الدِّينية والأخلاقية المشتركة

بين المسلمين والمسيحيين

القيم والأخلاق هي محددات وضوابط لسلوك الناس تميّز النَّوع الإنساني عن غيره من المخلوقات، وتشترك الدِّيانات السَّماوية الثلاث، وعلى وجه الخصوص الدِّيانتان الإسلامية والمسيحية بمجموعة من القيم الدِّينية والأخلاقية والروحية التي من شأنها أن تساهم مساهمة فاعلة في دعم مسيرة الحِوار بينهما مما يؤدي إلى إرساء ثقافة السلام في العالم أجمع.

المشتركات الدّينية بين الديانتين الإسلامية والمسيحية:

يشترك الإسلام والمسيحية في الاعتقاد بوجود الله وأنّه الإله الواحد المنزَّه خالق الكون والإنسان وخليقته.

وتعتقد كلا الديانتين كذلك أنَّ تحقيق الإنسان للإرادة الإلهية يكون باتباع تعاليمه الأخلاقية، وتتفق الديانتان في النهاية على أنَّ تحقيق الإنسان لهذه المثل يعني: الخلاص والبركة والسعادة في الحياة الدنيا والآخرة.... وتكوّن هذه الأفكار الدينية نواة كلّ منهما... ويرى كلّ من الإسلام والمسيحية أنَّ امتلاكه لهذه المعتقدات جاء عطاء من الله عن طريق الوحي الإلهي. وهما ينظران إلى التاريخ في ضوء هذا الوحي ويعدان مستقبل التاريخ مؤكداً له، هذا المستقبل الذي يصل نهايته يوم الحساب

... وفيه تعاد كلّ موازين التاريخ إلى وضعها الطبيعي حسب علم الله وعدله الشامل ورحمته التي وسعت كل شيء"(1). وكذلك فمن الطبيعي أن توجد فروق كثيرة بين الإسلام والمسيحية، وهذه الفروق طبيعية، فحتى ضمن الدين الواحد ثمّة فروق. وإنَّ هنالك الكثير من المشتركات القيمية بين الإسلام والغرب يمكنهما أن يتفاهما عليها دون التنازع عن القيم، كـ " حقوق الإنسان "، " الديمقراطية "، و " السلام "، و" الحرب ضد الإهارب " و " مقاومة النازية والفاشية " وغير ذلك. ويمكن للمصالح المشتركة أن تزيد العلاقة قوة أما المساحات المشتركة بين الإسلام والمسيحية ففيها اتساع ملحوظ " فهناك تراث قيمي مشترك لا يقدر بثمن فإنَّ الملاحظ للنصوص الإسلامية يجد كماً كبيراً من النقل عن عيسى (عليه السلام) وأمه الطاهرة نقلاً يوجه الحياة وينقيها، ومن أهم

مجالات التلاقي:" التركيز على عبادة الله ومحاربة الظلم والطغيان، والإيمان بالفطرة الإنسانية المبدعة، والإيمان بمنظومة أخلاقية تكاد تكون واحدة، والإيمان بحقوق الإنسان، والإيمان بقيمة التشكيل العائلي، والإيمان بضرورة التكافل الاجتماعي، الإيمان بضرورة إحياء الذكريات المصيرية، والإيمان بقيمة الحياة والعفة الاجتماعية، والإيمان بالحياة الإلهية المسجدية أو الكنسية، والإيمان بضرورة خدمة الحضارة الإنسانية، والإيمان بمنظومة من العبادات والصلوات المذكية للنفس، وغيرها كثير كثير"(2). لقد جاءت الديانات السماوية لتقرير مصالح النَّاس، وقد قام علماء أصول الدين باستقراء المصالح التي تشترك الديانات السماوية في تقريرها الدعوة إلى الحفاظ عليها وهي:

1_ مصالح ضرورية لوجود الإنسان المادي والمعنوي وسموها الضروريات ضروريات الحياة.

2_ مصالح ترتقي بحياة الإنسان نحو مزيد من السعة والفضل والتحلي بكل ما هو مفيد وحسن، وسموها التحسينات. (3).

وجهة نظر مسيحية عن القيم المشتركة بين المسلمين والمسيحيين

سنتناول في هذه السطور وجهة نظر بعض أتباع الدين المسيحي من رجال الدين والباحثين حول رؤيتهم للمشتركات الدينية والقيم المشتركة بين الدين المسيحي والإسلامي.

يقول المطران " جورج صليبا "" مطران جبل لبنان وطرابلس للسريان الأرثوذكس:" يلتقي الإسلام بالمسيحية في تكريم السيد المسيح لكونه كلمة الله

وروحه وبالعذراء مريم المكرّمة في القرآن الكريم تكريم المسيحيين لها.... ويلتقي الإسلام بالمسيحية بالدعوة إلى مكارم الأخلاق في العالم وعقيدة البعث والنشور في العالم الآتي مع وقوف كلّ البشر أمام منبر الدّيان في اليوم الآخر لينال كلّ واحد جزاءه عن حياته في الدنيا خيراً أم شراً. وفي مجال الإيمان والعقيدة المشتركة يحمل القرآن الكريم في معظمه خلاصة ما تضمنه الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد" (4).

ويقول المطران "كيرلس سليم بترس " رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للروم الملكيين الكاثوليك:" إنَّ المسيحية والإسلام يجتمعان على أهم الأمور الدينية على صعيدي العقيدة والأخلاق. فإذا كان الإسلام يرى في الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج أركانه الخمسة، فالمسيحية تتضمنها أيضاً:

فالشهادة هي الاعتراف بوحدانية الله، والصلاة والزكاة والصوم هي من تعابير الإيمان المسيحي، والحجّ إلى الأماكن المقدسة هو من التقاليد المسيحية العريقة"(5).

ويقول الباحث " مسير باسيل عون": " التقى المسيحيون والمسلمون في وجوه شتى وفي حقول مختلفة من حقول الحياة الدّينية والفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وعلى تعاقب الأجيال احتشدت في الوعي الديني المسيحي الإسلامي تراكمات من الخبرات والمحاصيل والخلاصات والعبر. ولذا بات اليوم من المستحسن التبصّر الهادئ الرصين في طبيعة هذه التراكمات، والنظر في قيمتها وجدارتها وأثرها، واستخراج المعايير والمقاييس والنّظم التي اهتدى بها هذا اللقاء الحضاري الضخم، وإثبات المبادئ النظرية السليمة

التي ينبغي للمسيحيين والمسلمين أن يستلهموا روحها في مقارنة مضامين عماراتهم الدّينية، ومنظوماتهم اللاهوتية، ومناهجهم الفقهية، وأساليبهم في التفسير والتأويل، وطرقهم في قراءة الذات وقراءة الآخر"(6). ويقدم الباحث " عادل يتودور خوري " رؤية مستقبلية لبناء مستقبل مشترك قائلاً:" إن تمكنا مسيحيين ومسلمين من توجيه سلوكنا وفق القيم المشتركة بين المسيحية والإسلام، استطعنا أن نشيّد نظاماً اجتماعياً إنسانياً يرتكز على احترم كرامة الإنسان، وتكون من ثماره: إقامة عدالة أخوية، وتنفيذ الحقوق والواجبات تنفيذاً رحيماً، ومنح الأولوية لحقوق الضعفاء، والمصالحة .... إلخ "(7).

وجهة نظر إسلامية عن القيم المشتركة الإسلامية المسيحية:

وسنتناول في هذا المقام عرضاً لبعض وجهات نظر المفكرين المسلمين حول القيم المشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية. يقول الباحث الدكتور " أسعد الحمراني":" إنّ المسيحية والإسلام تستهدفان توفير مناخات يعيش فيها الإنسان بكرامة ويكون ذلك عندما يسود منطق الحق والقوانين العادلة، وإذا كان بعضهم يتحدث عن الجانب الآخروي في الجزاء فإنّ الأمر كلّه بيد الله سبحانه وتعالى الذي يغفر لمن يشاء من عباده والذي كتب على نفسه الرحمة بعباده وشأنهم بيده. إنَّ أمتنا العربية مهد النبوات وحاملة الرسالات السماوية والدعوة من الله إلى أمم الأرض كلّها، وقد كان للعرب دوراً وتأثيراً من خلال المسيحية والإسلام في أرجاء الدنيا كلها. فما من بلد في العالم كله يخلو من المساجد والكنائس ومن أتباع الإسلام والمسيحية وبذلك يكون تفعيل الحوار

على القيم المشتركة ضرورة ملحّة لمواصلة هذا الدور الحضاري وتأصيله وتعميقه لتكون قيم الدين وهي الفضائل ومحاسن الخلق والحق والخير، هي القيم الناظمة لمسار الحضارات كلها، وبذلك نضمن بُعداً إنسانياً إيمانياً بعيداً عن التطرف أو التعصب أو الإلحاد أو المادية لتثبيت فاعلية القيم الدينية ودورها في التلاقي والحوار"(8). ويؤكد الباحث الدكتور محمد سعدي على أهمية القيم الأخلاقية المشتركة من " ترسيخ قيم الحوار والتسامح الدّيني والثقافي داخل مختلف التقاليد الثقافية والدّينية وداخل مختلف الأنظمة التربوية، ليتحول إلى سلوك فردي وجماعي.

.....

القيم الإنسانية والروحية المشتركة من وجهة نظر الفاتيكان:

هنالك عدد من القيم الإنسانية والروحية البديهية تجمع بين الإسلام والمسيحية. وقد أوجز أهمها المجمع الفاتيكاني الثاني بقوله:" تنظر الكنيسة بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحّي القيوم، الرحمن القدير، الذي خلق السماء والأرض وكلّم الناس، يسعون بكلِّ نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله، وإن خفيت مقاصده، كما سلّم لله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالانتساب إليه. وإنهم على كونهم لا يعترفون بيسوع إلهاً، يكرمونه نبياً، ويكرّمون أمه العذراء مريم مبتهلين إليها أحياناً بإيمان. ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذي يجازي الله فيه جميع الناس بعد ما يبعثهم أحياء من أجل هذا يقدرون الحياة الأبدية،

ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم خصوصاً (9).

مفهوم القيم في القرآن الكريم:

كثيرة هي المصطلحات القرآنية التي تتعلق بالدلالة المعاصرة لمصطلح القيم، وأهميتها في الحكم على السلوك البشري، فإذا كانت الأخلاق وصفاً للسلوك الإنسان، فإن القيم معايير لتقويم هذا السلوك، فالإنسان يسلك سلوكاً أخلاقياً محدداً، لأنه يتبنّى قيماً محددة، ونلحظ أن المصطلحات القرآنية ذات العلاقة بالقيم تقع في مستويات مختلفة في العموم والخصوص، إذ يمكن تصنيف القيم في فئات حسب معايير محددة: فالحقُّ، والعدلُ، والخيرُ، والإحسانُ، والتقوى، هي قيمٌ عُليا حاكمة رئيسية بينما الحياء، والبر، والصبر، والعفو، والوفاء هي قيمٌ مشتقةٌ فرعيةٌ. والعدل،

والشورى، والحرية، قيم في البناء السياسي للأمة، والتكافل، والكروم، والصدقة، قيم في البناء الاجتماعي للأمة، بينما الشجاعة، والحلم، والصدق، هي قيم التزكية النفسية للأفراد (10).

نحو تعزيز القيم المشتركة

لا يمكن تحقيق الحوار بين الأفراد والشعوب والثقافات بدون الاستناد إلى قاعدة القيم الإنسانية والأخلاقية والدّينية المشتركة، حيث يتحقق من خلال الحوار انفتاح إنسانيّ على التحديات المشتركة التي تواجه العالم ومستقبل الحياة البشرية. وضمن هذا الإطار شهدت عواصم عربية وأجنبية، منها الرياض، وبيروت، والكويت، والدوحة، والقاهرة، وسواها مؤتمرات وملتقيات للحوار الفكري بين الثقافات شارك فيها المئات من المفكرين والمثقفين ورجال الدين الذي يمثلون

مختلف الأديان والمذاهب الدّينية إلى جانب نظراء لهم من بلدان وأديان أخرى، حيث تناول المشاركون في هذه المؤتمرات بالنقاش والبحث هموماً إنسانية مشتركة (ثقافية ودينية وفكرية). وفي حقيقة الأمر لم يكن الاختلاف في العقائد والمذاهب الدّينية والتوجهات السياسية والرؤى الفكرية والانتماءات العرقية عائقاً أمام الحوار التي أبرز بجلاء القيم الإنسانية المشتركة وسعى جاهداً لتعزيزها وتضافرها باعتبارها إرثاً إنسانياً مشتركاً للإنسانية جمعاء.

وينبغي أن يسفر الحوار الإسلامي المسيحي عن احترام حرية الدين والعقيدة واحترام الرسل والكتب المقدسة، وتحريم تدنيسها أو الإساءة إليها ومنع كل صور ذلك. واحترام الرموز الدينية كافة وتحريم الإساءة إليها ومنعها بكلِّ صورها. وفضلاً

عن القيم الإنسانية المشتركة ثمّة هوامش واسعة من المصالح المشتركة التي ينبغي استثمارها لتفعيل الحوار الإسلامي المسيحي خدمة للبشرية جمعاء وصنع السلام العالمي.

****

الهوامش والمراجع:

1_ الفاروقي، د. إسماعيل: الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة، ندوة الحوار الإسلامي المسيحي، طرابلس، ليبيا 1976،ص34.

2_ التسخيري، محمد علي: القيم المشتركة بين المسلمين والمسيحيين، مجلة المعارج، العدد 171، 2014، ص89.

3_ الجابري، د. محمد عابد، قيم ثقافة السلام في الديانات السماوية، ص46.

4_ صليبا، المطران جورج: الحوار الإسلامي المسيحي نقاط الالتقاء، فصل في كتاب " الحوار الإسلامي المسيحي " مجموعة مؤلفين، دار المحجة البيضاء، بيروت 2001، ص39.

5_ بترس، المطران كيرلس سليم: أفكار وآراء في الحوار المسيحي الأسلامي والعيش المشترك، المكتبة البولسية 1999، ص.

6_ عون، مشير باسيل: الأسس اللاّهوتية في بناء حوار المسيحية والإسلام، دار الشرق، بيروت 2003،ص47.

7_ عادل تيودور خوري ومشير باسيل عون: العدل في المسيحية والإسلام، لبنان 1996، ص 159.

8_ الحمراني، د.أسعد الإسلام والمسيحية في فضاء القيم المشتركة، مجلة الحوار، العدد 57، دمشق 2006، ص 15.

9_ غيث، بهجق: الحوار الإسلامي المسيحي، دار المحجة البيضاء، بيروت 2001،ص 43.

10_ ملكاوي، فتحي: القيم في القرآن الكريم، بيروت2014، ص 99.

****